المحدِّث أبو الطيِّب شمس الحق العظيم آبادي وإسهامه في خدمة السنة النبوية

سيد عبد الماجد الغوري

الباحث الزميل في معهد دراسات الحديث النبوي (إنهاد)

والمحاضر في قسم الكتاب والسنة في الكلية الجامعية الإسلامية العالمية

(كويس)

ماليزيا

samghouri@gmail.com

المقدمة

إنَّ هذا البحث يعرِّف بإسهام المحدِّث أبي الطيِّب شمس الحقِّ العظيم آبادي (صاحب "عون المعبود في شرح سنن أبي داود")، في خدمة السنة النبوية، وهو يشتمل على ثلاثة مباحث رئيسة:

أولها: عن عصره الذي عاش فيه.

الثاني: عن حياته.

والثالث: عن جهوده في خدمة السنة النبوية.

ثم الخاتمة، وكشف للمصادر والمراجع.

المبحث الأول

عصر المحدِّث العظيم آبادي من الناحية السياسية والاجتماعية والعلمية

أولاً: الحالة السياسية:

أبصر الشيخ أبو الطيِّب شمس الحقّ العظيمُ آبادي النورَ في وقت كان معظم بلدان العالم الإسلامي خاضعةً لحكم الخلافة العثمانية، والتي كانت تلفظ أنفاسَها الأخيرة، وقد آلت إلى الضعف بعد القوة، وإلى الوهن بعد الشدة، وعُرفت في الأوساط السياسية الغربية بالرجل المريض، حتى سقطت سنة ١٩٢٤م، فقد أصبح العالم الإسلامي للمرة الأولى منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بلا خلافةٍ، وتفكَّك المسلمون وأصبحوا بلا راعٍ.

هذا هو حال العالم الإسلامي في عصر العظيم آبادي.

أما الهند التي كانت تحكمها الإمبراطوريةُ المغولية المسلمة منذ ثمانية قرون، فهي أيضاً كات تلفظ أنفاسها الأخيرة وقتئذ مثل الخلافة العثمانية في تركيا، وبدأت تفقد حكمها ونفوذها تدريجياً حتى سقطت أخيراً على يد الاستعمار البريطاني سنة ١٨٥٨م، وانتقلت الهند إلى الحكم البريطاني الذي عاصره العظيم آبادي، وذاق مرارته.

الحالة الاجتماعية:

لم يكن حالة المسلمين الاجتماعية في الهند في عصر الشيخ أبي الطيِّب مثلما كانت قبل الاستعمار البريطاني، خاصةً حينما كانت الهند تتمتع بالنفوذ الإسلامي في عهد الإمبراطورية المغولية المسلمة، فحين سقطت تلك الإمبراطورية وبدأ الحكم الإنكليزي في هذه البلاد؛ تفرَّق المسلمون، وتشتَّت شملُهم، وقلَّ الوازع الديني، مما أدَّى ذلك إلى انتشار داء التعصُّب المذهبي والفرقة، واتِّساع رقعة الخلاف بين أفراد الأمة، فانتشر الجهل، وشاع الهوى، وظهرت البدع والخرافات، وضعفت القيمُ الأخلاقية في المجتمع بسبب معايشة المسلمين مع الإنكليز، كما ظهرت أمور جديدة لم يكن يعهد بها علماء هذه البلاد من قبل، مثل مسألة الحجاب، وخروج المرأة، ومحاكاة الإنكليز في عادات أكلهم وملبسهم وطريقة حياتهم. وفي مثل هذه الظروف كان للشيخ أبي الطيب وأمثاله من العلماء دورٌ فعالٌ في إنقاذ المجتمع الإسلامي من تقليد الغرب، وفي إماتة البدع والخرافات، وإحياء السنة النبوية فيه.

الحالة العلمية:

أما حالة الأمة الإسلامية في عصر الشيخ أبي الطيِّب فقد بلغت دركةً عظيمةً من التدنِّي العلمي، والانحطاط الفكري، وبانت بوناً شاسعاً عن عصور ازدهارها، وإشعاع نور علمها. وقد شمل ذلك علومَ الدنيا

والدين، فتركت الأمةُ الانتفاع من المعارف الأوروبية بحُجّة مصدرها الكافر، بغير نظرٍ إلى المصالح والمفاسد. كما أُصيبت بالتحجُّر في علوم الدين، وسلكت سبيلَ التقليد، فلم يكن عند العلماء ابتكارٌ في التاليف غير تحشية الكتب واختصارها وتقريرها، كما أصبحت غايةُ الطلبة من العلم الظفرَ بالإجازات والتفاخر بها، دون حقيقة لمقتضاها[1].

ولكن حالة المسلمين العلمية في الهند كانت على خلاف ما كانت عليها الحالةُ العلمية في كثير من بلدان العالم الإسلامي، وكان زعماؤهم – وإنْ كانت قلوبهم مليئةً بالبغض والكراهية للاستعمار البريطاني الذي عاث فساداً في البلاد، فأكل خيراتِها، وأذلَّ أهلَها – لم يروا بأساً في الاستفادة مما كان يتميَّز به الإنكليز من خبرات في مجال التعليم، فاستفادوا منهم، وأنشؤوا في البلاد مؤسسات وجامعات للتعليم العصري، مثل: "جامعة عليكره الإسلامية" بعَلِيْكَرَهْ، و"الجامعة الْمِلِّيَّة الإسلامية" بدلهي، و"الجامعة العثمانية" بحيدرآباد، وقد نجحت هذه الجامعات في رسالتها نجاحاً كبيراً، وتخرَّج فيها كثيرٌ من الرجال الذين شغلوا وظائف كبيرة في الحكومة مع تمتعهم بثقتها، كما أنها لعبت دوراً مؤثِّراً في حياة المسلمين وسياسة البلاد[2].

كذلك لم يكن حالةُ التعليم الدينية في هذه البلاد مثلما كانت في كثير من بلدان العالم الإسلامي في ذلك العصر، بل كانت في هذه البلاد صحوةٌ تعليمية قوية يندر مثالها في أي بلد آخر من بلدان العالم الإسلامي عصرئذ، فقد أنشأ علماء المسلمين بعد سقوط الدولة المغولية المسلمة واحتلال الاستعمار البريطاني، مدارسَ وجامعاتٍ دينية كثيرةً في مختلف مناطق الهند، خشيةً على مسلميها من أن يتأثروا بالحكم غير الإسلامي الذي لم يعهدوا به، وحفاظاً على هويتهم الدينية، ومن أشهر تلك المدارس والجامعات التي أنشأوها: "دارالعلوم الإسلامية" بدِيُوْبَند، و"مدرسة مظاهر العلوم" بسَهارَنْفُور، و"دارالعلوم لندوة العلماء" بلكنؤ، و"دار الحديث الرحمانية" بدهلي[3]، فقد قامت هذه المدراس والجامعات بثورة علمية ونهضة حديثية قوية في هذه البلاد، والتي لا تزال تُؤتي أُكُلَها، فبدأ الطلاب يؤمون هذه البلاد من مختلف أنحاء العالم الإسلامي في طلب العلم لا سيما في طلب الحديث النبوي الذي أصبحت الهند مركزاً له، وصارت مأوى لأفئدة الكثير من أهل العلم وتلامذته، وقد شهد بذلك العلامة رشيد رضا المصري (ت١٣٥٤هـ) في تقديمه لكتاب "مفتاح كنوز السنة" حيث قال: "لولا عنايةُ إخواننا الهنود بعلوم الحديث في هذا العصر؛ لقُضي عليه بالزوال من أمصار الشرق..."[4]. وقد سبقه الشيخ عبد العزيز الخولي (ت١٣٤٩هـ) بمثل هذا الاعتراف الجميل والثناء العاطر، حيث قال: "ولا يُوجَد في الشعوب الإسلامية على كثرتها، واختلاف أجناسها مَن وفَّى الحديثَ قِسطه مِن العناية في هذا العصر مثل إخواننا مسلمي الهند، أولئك

---

١ انظر: الزهراني، علي بخيت، **الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة**، ص: ٧٩٨.

[2] الغوري، سيد عبد الما جد، **الإمام أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية المربي الأديب**، ص: ١١٤.

[3] الندوي، أبو الحسن علي الحسني، **المسلمون في الهند**، ص: ١٣٨، والغوري، سيد عبد الماجد، أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية، ص: ١٠٩، ١١٣.

[4] رشيد رضا، محمد، في تقديمه لكتاب: "**مفتاح كنوز السنة**"، ص: ق.

الذين وُجد بينهم حُفَّاظٌ للسنة، دارسون لها على نحو ما كانت تُدرَس في القرن الثالث، حرية في الفهم ونظر في الأسانيد..."[1].

المبحث الثاني

حياة الشيخ أبي الطيب

هو العالم البارع، المحدِّث الفقيه، العلامة الكبير: الشيخ المربِّي: أبو الطيِّب، شمس الحقِّ بن أمير عليّ بن مقصود عليّ بن غُلام حيدر بن هداية الله بن محمد زاهد بن نور محمد علاء الدين البَكْري الدَّيَانَوِي العظيم آبادي.

كنيته واسمه ونسبه:

أولاً: كنيته: "أبو الطَّيِّب".

ثانياً: اسمه: "شمس الحقِّ"

ثالثاً: نسبته: "العظيم آبادي"، نسبةً إلى مَسقَط رأسِه "عظيم آباد" التي تُسَمَّى اليوم "بَتْنَه"، عاصمة ولاية "بِهَارْ".

نسبه وأسرته:

ينتهي نسبُه إلى الخليفة الأوّل أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه من جهة أبوَيْه معاً.

وكانت أسرته تُعرَف بالوجاهة والشرف، والصلاح والتقوى. ووالدُه الشيخ (أمير علي) كان معروفاً بين الناس بحلمه وكرمه وتواضعه، وقد قرأ على المشايخ الكتب الفارسية، ودرس عليهم بعضَ كتبِ الحديث والفقه واللغة العربية، توفي في سنة ١٢٨٤هـ ، وكان عمرُ الشيخ أبي الطيب وقتئذ أحد عشر عاماً.

أما والدته فكانت امرأةً صالحةً عابدةً صابرةً، وقد أنجبت أبناءً بَرَرة خدموا الدين والعلم معاً، فكان أشهرُهم: الشيخ أبو الطيِّب، صاحب الترجمة، والشيخ شرف الحقِّ محمد شرف العظيم آبادي، الذي كان عالماً متمكِّناً من علم الحديث، رافق أخاه الكبير أبا الطيب شمس الحق العظيم آبادي في رحلته العلمية، وشاركه في شيوخه في التلقِّي عنهم، ولازم المحدِّثَ المسند الشيخ نذير حسين الدهلوي (ت١٣٢٠هـ)، وأخذ عنه الحديثَ، وبعد فراغه من طلب العلم؛ لازم بيتَه في مسقط رأسه، وعكف على التدريس والإفادة، ولم يزل كذلك حتى وفاته سنة ١٣٢٦هـ[2].

مولده ونشأته:

وُلد الشيخُ أبو الطيِّب في ٢٧ ذي القعدة عام ١٢٧٣هـ (١٨٥٧م)، ببلدة "أعظم آباد"، ولكن بعد وفاة والده انتقلت به والدته إلى مسقط رأسها "دَيَانْوَان" حيثُ نشأ وتربَّى في بيت جدِّه من أمه نشأةً صالحةً على التُّقى والدِّيانة، وكان من تأثير تلك النشأة والتربية أنه مال منذ صِغره إلى اتِّباع السنة.

---

[1] الخولي، عبد العزيز، **مفتاح السنة**، ص: ٣.

[2] انظر: الحسني، عبد الحي بن فخر الدين، **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام**، (٨/١٣٥٠)، والفريوائي، عبد الرحمن بن عبد الجبار، **جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة**، ص:١٢٥.

دراسته:

بدأ الشيخُ أبو الطيب دراسته بقراءة القرآن الكريم، ثم شرع في دراسة كتب الفارسية – شأن أبناء البيوتات الشريفة وقتئذ — على علماء بلدته، ثم بدأ قراءةَ المختصرات على الشيخ عبد الحكيم الشَّيْخُوْفُوْرِي (ت١٢٩٥هـ)، ثم أقبل على تحصيل العلوم العربية وغيرها على الشيخ لُطْف الله البِهَاري (ت١٢٩٦هـ)، فقرأ عليه أهمَّ كتبِ اللغة والأدب والمنطق، كما قرأ عليه أيضاً "جامع الترمذي"، وأصولَ الفقه، وكانت دراسته كلها في "ديانوان" على علمائها ومشايخها دون أن يرحل إلى مكانٍ آخر.

ولَمّا ارتوى من تحصيل العلوم من علماء قريته؛ رحل إلى "لكنؤ" عام ١٢٩٢هـ – والتي كانت محطّاً للعلوم العقلية وقتئذ –، ومكث فيها سنةً، وقرأ خلالها كتبَ المنطقِ والفلسفة على الشيخ فضل الله اللَّكْنَوِي (ت١٣١١هـ). ثم انتقل إلى مدينة "مُرادْآباد"، حيثُ قرأ كتبَ العلومِ النقلية والعقلية على المحدِّث الشيخ القاضي بشير الدين القَنُّوْجِي (ت١٢٩٦هـ) حتى تبحَّر فيها.

ثم تاقت نفسُه إلى التمكُّن من علم الحديث؛ فسافر إلى "دهلي" في بداية عام ١٢٩٥هـ، وثافَنَ مُسنِدَ الهند المحدِّثَ الكبير الشيخ نذير حسين الدهلوي، حتى عبَّ من علمه، وحصلت له الإجازةُ منه في علوم الحديث والتفسير، وكانت مدة إقامته عنده نحو سنة أو أكثر. ثم عاد إلى بلدته عام ١٢٩٦هـ، ومكث فيها فترةً ثم جدَّد الرحلةَ إلى"دهلي" لأنَّه وجد أنَّ نفسه الطموحة لم تقتنع بالقدر الذي اغترفه من علم شيخه المحدِّث نذير حسين الدهلوي، فسافر إليه مرةً ثانية، وبقي عنده أكثر من سنتين، وقرأ عليه أُمَّاتِ كتب التفسير والحديث وأصوله.

ومِن دأب المحدِّث نذير حسين[1] أنه كان يدرِّب تلاميذَه الناشئين على كتابة الفتاوى، مع تدريسهم الكتبَ الدراسية، وكان الشيخ أبو الطيب من أخَصِّ تلامذة المحدِّث الدهلوي وأذكاهم، فكان يكلِّفهم بين الحين والآخر بكتابة الفتاوى أثناء مدة إقامته عنده، مما ساعده كثيراً في الاطلاع على مصادر الفقه والتعامل معها في سنٍّ مبكِّر، وكذلك في تكوين شخصيته فيما بعد كفقيهٍ جمع بين الفقه والحديث.

وبعد أن تضلَّع الشيخُ من علم المحدِّث نذير حسين الدهلوي؛ رحل إلى "بُوْفال"، وهناك تتلمذ على المحدِّث المسنِد القاضي الشيخ حسين بن محسن الأنصاري اليَمَاني (ت١٣٢٧هـ)، فاستفاض من عِلمه وأجازه الشيخُ إجازةً عامةً.

ثم سافر إلى "طُوك" حيثُ تعلَّم علِمَ الطِّبِّ، لكن يبدو أنه لم يَمِل إلى ذلك كثيراً، وإلا كان يُعرَف طبيباً مُعالِجاً كما عُرف محدِّثاً كبيراً وفقيهاً خبيراً.

رحلته إلى خارج الهند:

رحل الشيخ أبو الطيب إلى الحجاز بقصد الحجِّ في عام ١٣١١هـ، وبقي هناك ستةَ أشهرٍ بعد أداء الفريضة، واجتمع خلالها مع كبار علماء بلاد الحرمَين، وأخذ عنهم الحديثَ وغيره من علوم، كما أنَّ كثيراً منهم استجازوه في الحديث أيضاً، وقد كتب الشيخ ثَبَتاً إثر عودته من سفر الحجاز، وسمَّاه: "نهاية الرسوخ في معجم

[1] ولا يزال هذا دأبُ كثيرٍ من العلماء في المدارس والجامعات الإسلامية في بلاد شبه القارة الهندية، حيثُ أنهم يدرِّبون تلاميذهم على كتابة الفتاوى، بعد فراغهم من تحصيل العلوم الشرعية خاصةً الذين يريدون أن يتخصَّصوا في الفقه.

الشيوخ"، لكنه مازال مفقوداً، ولعلَّه قد ذكر فيه أولئك الشيوخ الأجلة الذين التقى بهم في هذه الرحلة المباركة وتلقَّى عنهم[1].

في مجال التدريس:

وكان الشيخُ أبو الطيب قد بدأ التدريس والتعليم بعد تخرُّجه على يد شيخه المحدِّث الدهلوي، وبعد عودته من الحجاز استأنف التدريسَ وركَّز عنايته على تدريس الحديث، فذاع صيتُ دروسِه في أرجاء الهند وخارجها، وبدأ طلبة العلم يقصدونه من كل حَدَبٍ وصَوْب من مختلف الولايات في الهند، ومن مختلف البلدان مثل: إيران، وبغداد، وعُمَّان، ونجد، وعسير، والبلاد الغربية، واستفادوا منه لا سيما في علم الحديث، وتخرَّج على يده كثيرٌ من العلماء الذين ساهموا في خدمة السنة النبوية في هذه البلادة فيما بعد.

ولعُه بجمع نوادر المخطوطات ونفائس المطبوعات:

وُلِعَ الشيخُ أبو الطيِّب من أول عهده بطلب العلم، بجمع المخطوطات النادرة والكتب النفيسة، وكان يشتري المخطوطات، ويطلب المطبوعات بأثمان غالية، من مصر وبيروت وليدن وألمانيا وباريس ولندن وغيرها من البلاد النائية رغم قِلَّة وسائل الطلب وقتئذ. كما كان يستنسخ — أيضاً – المخطوطات النادرة الموجودة في مكتبات تلك البلاد مهما كُلِّف في ذلك من التكاليف المالية، حتى اجتمعت في مكتبته من الكتب المخطوطة والمطبوعة ما لم تكن موجودةً في كبرى مكتبات هذه البلاد مع كثرتها – يُستثنى منها مكتبة الأمير صديق حسن خان القَنُّوْجِي (ت١٣٠٧هـ) في بُوفال – حتى عُدَّتْ مكتبته من أكبر مكتبات الهند لا سيما في الحديث وعلومه[2].

دوره في نشر التراث النبوي في الهند:

للشيخ أبي الطيب دورٌ كبيرٌ في نشر كتب الحديث والسنة في ديار الهند، وكان من الأوائل الذين اعتنوا بنشر وطباعة كتب علماء الحديث في هذه البلاد، فقد نشر الشيخُ كثيراً من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الحافظ ابن قيِّم الجوزية، والإمام الذهبي، والحافظ زكيِّ الدين المنذري، والحافظ السيوطي رحمهم الله تعالى، والتي لم يتسنَّ لأحد علماء هذه البلاد رؤيتها من قبل.

وكان مستشاراً خاصاً في "دائرة المعارف" الشهيرة في حيدرآباد (الدَّكن)، وقد طبعت الدائرةُ بمشورته كتباً كثيرةً في الحديث ورجاله مثل: "تذكرة الحفاظ" للإمام الذهبي، و"تهذيب التهذيب" و"لسان الميزان" للحافظ ابن حجر، و"الأنساب" للسَّمعاني، وغيرها، كما أنَّ بعض المطابع بمصر أيضاً طبعت كتباً كثيرةً بمشورته[3].

دوره في إحياء السنة النبوية والدفاع عنها:

وكان الشيخ أبو الطيب أمّاراً بالمعروف ونهّاءاً عن المنكر، وكان يدعو المسلمين إلى التوحيد، وإلى العمل بما جاء في الكتاب والسنة، وقد سعى إلى إماتة كثيرٍ من البِدَع والخرافات، والأعمال الشِّركية، والتقاليد الجاهلية التي

---

[1] محمد عزير شمس، **حياة المحدث شمس الحق وأعماله**، ص: ٢٧، ٢٨.

[2] انظر "حياة المحدث شمس الحق وأعماله" ص: ٧٣،٧٧، والنعماني، شبلي، **مقالات شبلي**، (١/١١١).

[3] انظر: "حياة المحدث شمس الحق وأعماله، ص: ٤٣.

كانت شائعةً حينئذ – خاصةً – في المناطق التي كان يسكنها؛ ونتيجةً لذلك تلألأت آثارُ السنة النبوية الشريفة حيثما حلَّ وارتحل، وتاب الناس على يده عن العقائد الباطلة والعادات الجاهلية، ورجعوا إلى الطريق المستقيم والعقيدة الصحيحة[1].

كما أنَّ له دوراً لا يُستهان به في الدِّفاع عن السنة النبوية في هذه البلاد، وله في ذلك مواقف حاسمة، منها: أنه كلَّف تلميذَه الشيخ أبا القاسم سيف البَنَارَسي (ت١٣٦٩هـ) للردِّ على هفوات بعض المنكرين للسنة، وساعده في ذلك مساعدةً علميةً وماليةً أثناء تأليفه الكتبَ، مما كان له الأثر الأكبر في تصحيح أفكار الذين تأثَّروا بأفكارهم الخبيثة نحو السنة وأئمتها.

ومنها أنه شجَّع زميلَه الشيخَ عبد السّلام المباركفوري (ت١٣٤٢هـ) – أحد كبار علماء الحديث في عصره – على تأليف سيرةٍ موسَّعةٍ عن الإمام البخاري5، وذلك حين أصدر أحدُ المؤلِّفين الهنود[2] كتاباً استعمل فيه بعضَ كلماتٍ تحطُّ شأنَ الإمام البخاري عن مكانته. فدعت الحاجةُ إلى كتابٍ، يبيِّن جوانبَ حياة الإمام ومنْزلته وعبقريته، نقلاً عن أصدق المراجع التي يُعتمَد عليها، مع الردِّ على المخالفين. فوقع اختيارُ الشيخِ أبي الطيب على زميله المذكور، وشَجَّعه على القيام بذلك، موفِّراً له كل ما كان يملك في مكتبته الخاصة من الكتب النادرة من المطبوع والمخطوط، مما سهَّل له التأليفَ في الموضوع فيما بعد، فوُفِّق في ذلك كل التوفيق، وقدَّم إلى المكتبة الإسلامية أحسنَ دراسةٍ عن الإمام البخاري وجامعه الصحيح، ونجح في تفنيد المزاعم والأقاويل التي لفقها بعضُ الكُتَّاب والمؤلِّفين عن المحدِّثين العظام وجهودهم البنَّاءة في خدمة السنة المشرَّفة.

كما أنَّ الشيخ أبا الطيب نفسَه قد قام بالردِّ كثيراً على المخالفين للسنة النبوية والمنكرين عليها، وهي منتشرة في مؤلفاته ورسائله، وليت أحدُ الباحثين في الجامعة السلفية ببنارس أفرزها منها ونشرها مع التحقيق والتعليق عليها.

وفاته:

توفي الشيخ أبو الطيب متأثراً بوباء الطاعون الذي كان منتشراً وقتئذ في بعض مناطق شمالي الهند، ومات بسببها كثيرٌ من أهاليها، وحين تأثَّر بهذا الداء؛ لم يقبل مغادرتَها مثلَ كثيرٍ من علمائها ووُجهائها، بل آثر البقاءَ فيها، طلباً للشهادة عملاً بحديث «مَن ماتَ في الطَّاعُون فهو شهيدٌ»[3]، حتى أُصيب به، وتوفي إثر ذلك في ١٩ ربيع الأول ١٣٢٩هـ (الموافق ٢١ مارس ١٩١١م)، عن ست وخمسين عاماً من عمره الحافل بخدمة السنة النبوية.

من صفاته وأخلاقه:

قد ذكر بعض مَن ترجم له من العلماء أن الشيخَ أبا الطيب5 كان متصفاً بصفات حسنة وأخلاق عالية، فأنقل هنا ما ذكره عنها الشيخ أبو الفضل عبد السميع المباركفوري، حيث قال: "أما الشيخ العلامة أبو الطيب

---

[1] انظر: الديانوي، محمد زبير عتيق، "**ياد كار كوهري**"، ص: ١٠٩، و"حياة المحدِّث شمس الحق وأعماله" ص: ٢٩، ٣٠.

[2] وهو العلامة شبلي النعماني (١٣٣٢هـ) صاحب مؤلفات قيمة بالأردوية في السيرة والتاريخ والأدب، وقد ألَّف كتاباً في سيرة الإمام أبي حنيفة ٥ باسم "سيرة النعمان"، وانتقص فيه من المحدِّثين ومنهجهم، وحاول رفع شأن الفقهاء بتقليل شأن المحدِّثين.

[3] أخرجه مسلم في **الصحيح**، كتاب: الإمارة. باب: بيان الشهداء.، برقم: (١٩١٥) عن أبي هريرة.

محمد شمس الحق المذكور فهو من أعظم رؤساء (الدَّيانوان) وأمرائها، وأكبر علمائها إذ ذاك، جَمَع علماً وفقهاً، وأدباً وفضلاً، ونُسكاً وعبادةً، وكرماً وأخلاقاً حسنةً، وخِصالاً مرضية، وسَيْراً محموداً، .... التزم على نفسه خدمةَ الدِّين، ونشرِ الإسلام، وإعلاءِ كلمة الله، وإحياءِ السُّنّة والْمِلَّة، وإزالةِ المنكرات والبدعات الْمُحدَثة، يُحِبّ العلماء والصلحاء، ويُحسِن إليهم، ويُنفِق عليهم من نفائس الأموال، وتطيب نفسه بلقائهم[1].

كما ذُكر في صفاته – أيضاً – أنه كان كثيرَ التواضع، شديد الورع والتقوى، ومِن ذلك أنه لم يُثبِت اسمَه في بعض مؤلفاته، فنُشرت لأول مرة بغير اسم المؤلف. وكذلك ذُكر أنه كان سخياً وجواداً، ومن أخبار سخائه وجُوْده أنه كان يُعير العلماءَ والباحثين والكُتَّاب النُّسَخَ الخَطِّيّة من الكتب الموجودة في مكتبته الخاصة، ويُعينهم بالأموال، ويفتح لهم أبوابَ مكتبتِه للاستفادة منها، على اختلاف مذاهبهم، يقول مُعاصِره الشيخ عبد الحي الحسني (ت١٣٤١هـ): "وكان يُحِبُّني لله، وكنتُ أحبه، وكان بيني وبينه من المراسلة ما لم تنقطع إلى يوم وفاته[2]"، وقد أمدَّه5 بكثير من الكتب النادرة حينما كان عاكفاً على تأليف كتابٍ عن تراجم أعلام الهند، والذي طُبع فيما بعد باسم "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر[3]".

مكانته في علم الحديث:

جمع الشيخ أبو الطيب بين العلوم العقلية والنقلية، وتضلَّع منها تضلُّعاً تاماً، لا سيما علم الحديث، وكان واسع المعرفة بمتونه وأسانيده، قادراً على التمييز بين صحاح الأسانيد من ضعافها. وكان عارفاً بمعاني الحديث وفقهه، وبارعاً في استنباط المسائل منه، وذا قدرة واسعة في شرح الحديث وكشف معضلاته. كما كان يتميَّز بين أقرانه من علماء الحديث بسعة معرفته وغزارة علمِه بأسماء الرجال، والجرح والتعديل، وطبقات المحدِّثين، ولم يكن في عصره مَن يُدانيه في ذلك، غيرُ الإمام المحدِّث الفقيه الشيخ عبد الحي اللكنوي (ت١٣٠٤هـ) الذي انتهت إليه الرئاسةُ في الحديث والفقه في ذلك العصر.

عقيدته ومذهبه:

عقيدةُ الشيخ أبي الطيب هي عقيدةُ السَّلَفِ من أهل السنة والجماعة، وهي الإيمان والتصديق بما وصفه الله به نفسه، أو وصفه به رسوله)، مع ترك البحث والتسليم لذلك من غير تعطيل ولا تشبيه، ولا تكييف ولا تفسير ولا تأويل.

أما مذهبُه فهو مذهبُ "أهل الحديث" – المعروف في شبه القارة الهندية بهذا الاسم – الذين لا يقلِّدون أحداً من الأئمة المتبوعين الأربعة، ويتبعون الدليل حيثما صحَّ.

---

[1] انظر: المباركفوري، عبد الرحمن، **مقدمة تحفة الأحوذي**، (٥٣٨/١).

[2] الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام: (٨/ ١٢٤٣).

[3] والذي طُبع حديثاً باسم: "الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام".

المبحث الثالث

مساهمته في السنة النبوية

قد سبق لي أن ذكرتُ أنَّ الشيخ أبا الطيِّب قد اشتغل بالإفتاء أثناء إقامته عند المحدِّث نذير حسين الدهلوي، وتمرَّن على كتابة الفتاوى، وكان شيخُه الدهلوي مُعجَباً به أشدَّ الإعجابِ بعد أنْ لاحظ فيه آثارَ النبوغِ الباهر والذكاء الخارق، فرغَّبه منذ ذلك الحين في التأليف والتصنيف، وأشار عليه بأن يشرح كتبَ السُّنّة ويحقِّقها، ويعتني بتصحيحها والتعليق عليها. فوقع ذلك في قلب الشيخ أبي الطيِّب موقعاً حسناً، وتوجَّه إلى التصنيف والتأليف من حين فراغه من التحصيل، وظلَّ على ذلك حتى وفاته، وقد ألَّف في هذه المدة القصيرة التي لا تتجاوز عن سبع وعشرين سنة عدداً لا بأسَ به من الكتب في الحديث والفقه والتراجم والإسناد، باللغات الثلاث (العربية والفارسية والأردوية)، وطُبع بعضٌ منها في الهند وخارجها، وبقي بعضٌ منها مخطوطاً إلى يومنا هذا في "مكتبة خُدا بَخَشْ" ببَتْنَهْ، كما أنَّ بعضاً منها مفقوداً لم يُعثَر عليها إلى الآن.

وفيما يلي أذكر من تلك المؤلَّفات المطبوعة والمخطوطة والمفقودة، ما يَخُصُّ منها بالحديث النبوي فقط:

١ – غاية المقصود في حلِّ سنن أبي داود:

يُعتبَر كتابُ "السُّنَن" للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (ت٢٧٥هـ) الأصلَ الثالث من الأصول السِّتَّة بإجماع كثيرٍ من علماء الحديث. وقد جعل كثيرٌ من العلماء منْزلتَه بعد الصحيحين، قال المحدِّث الشيخ محمد زكريا الكانْدَهْلَويّ (ت١٤٠٣هـ): "وفي الجملة إنَّ (صحيح البخاري) أعلى رتبةً في الصِّحَّة وغيرها عند الجمهور، ثم (الصحيح) للإمام مسلم، ثم (السُّنن) للإمام أبي داود عند هذا العبد"[١]. لذلك لقي كتاب "السُّنَن" اهتماماً بالغاً من علماء الأمة؛ فاعتنوا بروايته، وشرحِه، وتهذيبِ، ونقدِ رجاله إلى غير ذلك من الخدمات المتنوّعة، و(كان نصيبُ علماء الهند من خدمة هذا الكتاب الجليل نصيباً غير منقوص، شأنُهم في خدمة علم الحديث عامةً، وخدمة الكتب السِّتّة بصفةٍ خاصّةٍ)[٢]، حيثُ اعتنوا بشرح هذا الكتاب وتحشيته اعتناءاً كبيراً ، وكان ممن خدمه منهم: صاحب الترجمة الشيخ أبو الطيِّب الذي ألف عليه شرحين: المطوَّل منهما باسم "غاية المقصود" والمختصر باسم "عون المعبود"، وإليك تعريف كلٍّ منهما بدأً بالكتاب الأول.

"غاية المقصود" شرحٌ طويل لـ"سنن أبي داود، ولم يُنسَج على منواله أيُّ شرحٍ آخر من تلك الشروح الكثيرة المختصة به، فقد استهلَّه الشارح بمقدمة قيمة، ذكر فيها فوائدَ تتعلَّق بسنن أبي داود.

أمَّا المنهج الذي سار عليه الشارح في الكتاب فهو كالآتي:

– أنه سَلَك في شرحه مسلكَ التفصيلِ، وجمع فوائدَ شَتّى من بطون الكتب والصَّحائف، واعتنى بعزو كل قولٍ إلى قائله ليسهل الرجوع إلى كتابه عند التحقيق.

---

[١] الكاندهلوي، محمد زكريا، مقدمة "**لامع الدراري على صحيح البخاري**" ص: ١٣٩، ١٤٠.

[٢] العبارة بين القوسين للعلامة أبي الحسن الندوي5، انظر: الغوري، سيد أحمد زكريا الندوي "**مقدمات الإمام أبي الحسن الندوي**" (١٧٧/١).

- بَسَط القولَ في شرح الأحاديث، وذَكَر المسائلَ الفقهية المستنبطة منها، مع الاعتناء التامّ بحلِّ مشكلات الحديث، وشَرَح غريبَه، بحيث يتَّضح معنى الحديث تماماً.
- ذَكَر اختلافَ المجتهدين وأقوالَهم في مسائل الخلاف، مع بيان الحُجَج والبراهين لكلِّ واحدٍ منهم، وتعيينِ القول الراجح عند المؤلِّف، وأطنب الكلامَ في الرَّدّ على التأويلات التي يذكرها المخالفون.
- تَرْجَمَ لكلِّ راوٍ في أول موضعٍ جاء فيه ذكرُه، مع نقد الرواة، وذكرِ أقوال الجرح والتعديل الواردة فيهم من الكتب المعتمد عليها في هذا الفَنّ.
- وَضَّح ما كان في إسناد الحديث ومتنه من اضطرابٍ.
- اعتنى بتخريج أحاديث السُّنَن في آخر شرحه للحديث، مع بيان درجتها من الصِّحّة والحسن والضَّعف.
- ذَكَر وجوهَ التوفيق بين الروايات التي تبدو بادىء الرأي مختلفةً أو متباينةً.
- أَخَذ في كثيرٍ من المواضع على شُرَّاح "السنن" التي صدرت عنهم الأخطاء، وذكر الصَّواب منها.
- ساق في الشرح جملةً من الروايات التي تتعلَّق بالباب، مع ذِكر مَن خَرَّجه مِن الأئمة، وبيانِ درجة الحديث من الصحة والضعف.

وبالجملة: فقد جاء هذا الشرحُ مشتملاً على فوائدَ شتَّى من حلِّ مشكلٍ وتفسيرِ غريبٍ، وما يستفاد من أحاديث الباب من الفقه، وما يتعلَّق بعلوم الحديث، وضبطِ أسماء الرواة وترجمتهم، وآراء الأئمة في أمهات المسائل المتَّفق عليها والمختلف فيها، وأدلة كلِّ واحدٍ منهم... إلى غير ذلك من الفوائد[1].

ولكن للأسف ... لم يتمّه الشارح، فقد وصل به فقط إلى "باب الدعاء للميِّت إذا وُضع في قبره" من أبواب كتاب الجنائز للسُّنَن.

وقد طُبع الجزءُ الأول منه فقط في مطابع الأنصاري بدلهي (الهند)، بدون تاريخ، ثم طُبعت عام ١٤١٧هـ (١٩٩٧م) بعناية الدكتور محمد عزير شمس.

٢ – عون المعبود على سنن أبي داود:

اختصره الشيخ أبو الطيِّب من كتابه "غاية المقصود" الذي سبق الحديث عنه آنفاً، فلأنَّه خشي أن لا يتم هذا الشرحَ الأخير؛ لطوله وسَعَتِه فعجَّل بإخراج هذا المختصر.

وقبل أن أبدأ التعريف بهذا الكتاب؛ أرى من الضروري أن أزيل اضطراباً حول مؤلِّفه، الذي وقع فيه كثيرٌ من الباحثين والطلاب؛ لكون الكتاب قد طُبع لأوّل مرةٍ باسم الشيخ محمد أشرف المعروف بشرف الحق العظيم آبادي، دون اسم الشيخ أبي الطيب، فنسبوه إلى الأول دون الآخر الذي هو المؤلف الحقيقي للكتاب، وممن فعل ذلك الأستاذ عمر رضا كحالة (ت١٤٠٨هـ) في كتابه "معجم المؤلفين"[2] حيثُ عَدَّ "عونَ المعبود" من آثار الشيخ محمد أشرف حين ترجم له فيه، ثم اقتفى أثره في ذلك بعض المؤلفين في التراجم.

---

[1] انظر: "حياة المحدِّث شمس الحق وأعماله"، ص: ١٩٧، ٢٠٧.

[2] انظر: ٣/ ١٣٦.

والصواب: أنّ الكتاب بنصِّه وفصِّه للشيخ أبي الطيب شمس الحق العظيم آبادي، لكنه نَسَب الجزءَ الأول والثاني منه إلى أخيه الصغير الشيخ محمد أشرف، اعترافاً وتقديراً لما قدَّم له من مساعدة في تأليفه، كما يدل على ذلك قولُ عصريِّه الشيخ عبد الحي الحسني في "الإعلام" [1] في ترجمة الشيخ محمد شرف: "وقد عزا إليه صِنْوُه شمس الحق (المجلد الأول) من (عون المعبود) ... أخبرني بذلك الشيخ شمس الحق".

وقال بهذا العلامة أبو الحسن علي الحسني النَّدْوي (ت١٤٢٠هـ)،[2] أنَّ الشيخ أبا الطيِّب نسبه إلى أخيه، حيثُ قال5: "ونسبه إلى أخيه الشيخ محمد أشرف، وهو من تأليفه حقيقةً".

وكذلك نَسَبه المحدِّثُ الشيخ عبد الرحمن المباركفوري (ت١٣٥٣هـ) في "مقدمة تحفة الأحوذي"[3] للشيخ أبي الطيِّب، وهكذا لم يذكر أحدٌ منهم أنّ الكتاب ألَّفه أخوه الشيخ محمد أشرف، ولو كان الأمرُ كذلك لصَرَّح به هؤلاء.

مِن هنا يتبيَّن لنا بجلاء: أنّ "عون المعبود" للشيخ أبي الطيِّب، وأنّه نَسَب (الجزء الأول) منه لأخيه الشيخ محمد أشرف تطييباً لخاطره، ولقيامه بمساعدته، واستمرَّ الأمر كذلك؛ في (المجلد الثاني)، ثمّ رجعت النسبةُ لمؤلِّفه الحقيقي الشيخ أبي الطيب في المجلَّدين الأخيرين: (الثالث) و(الرابع).

أما منهجُ الشارح الشيخ أبي الطيِّب في "عون المعبود" فهو يتلخَّص في النقاط التالية:

- أنه يَنقُل أولاً بعض العبارات والألفاظ من "سنن أبي داود"، ثم يتكلَّم عليها، وإنْ كان لفظاً غريباً؛ بَيَّن معناه، وإنْ جاء في الإسناد راوٍ؛ تَرْجَمه، ونَقَل أقوالَ العلماء في تعديله إذا كان ثقةً، أو جَرَحه إذا كان ضعيفاً. وإنْ اسْتُنْبِطَتْ من الحديث مسألةٌ؛ ذَكَرها، وذكر الاختلافَ فيها مع دلائل كلِّ واحدٍ من الأئمة مختصراً.
- يعتني بتخريج أحاديث الكتاب اعتماداً على كلام الحافظ عبد العظيم المنذري (ت٦٥٦هـ) في مختصره للسُّنَن.
- يَرُدُّ -أحياناً- على الفِرَق الخارجة عن الإسلام كالقاديانية، وطوائف المبتدعة، وعلى النظريات الباطلة الجديدة التي شاعتْ في عصره.

وقد أضاف الشارحُ في نهاية الكتاب ما سَمّاه بـ: "تنبيهات جليلة عظيمة، وفوائد نافعة مهمة لا يستغني عنها الطالب"، ذكر فيها: تنقيد أحاديث السُّنَن وتخريجها، وترجمة لمصنِّف "السُّنَن" الإمام أبي داود، ورواةَ السنن عنه على سبيل الاختصار. واختلافَ نسخ المتن، والنسخ التي ظفر بها وبيَّن نوع الاختلاف بينها.

ولهذا الكتاب جملة خصائص عديدة أذكرها فيما يلي:

---

[1] (١٣٥٠/٨).

[2] في تقديمه لكتاب **"بذل المجهود في حل سنن أبي داود"**، ج: ١، ص: ٣١.

[3] ص: ٧٦.

- يمتاز متنه (أي متن سنن أبي داود) بدِقَّة شديدة في تصحيحه، حيث أن الشارح اعتمد على رواية محمد بن أحمد بن عمرو البصري المعروف باللُّؤْلُؤي (ت٣٣٣هـ) التي تُعتبر أشهَرُ روايات السنن، ثم قابلها بروايات مختلفة ونُسَخ عديدة.
- أنه أولُ شرحٍ كاملٍ على "سنن أبي داود"، فهناك شروحٌ لها أُلِّفت قبله، لكنها لم تكتمل مثل شرح الإمام بدر الدين العينيِّ (ت٨٥٥هـ)، والشيخ محمود محمد خطَّاب السُّبْكي (ت١٣٥٢هـ)، أمَّا "بذل المجهود في حلِّ سنن أبي داود" لمعاصره الشيخ خليل أحمد السَّهارَنْفُوري (ت١٣٤٦هـ) فهو إن كان كاملاً لكنه ظهر إلى حيِّز الوجو بعده بكثيرٍ. وكلاهما شرحان مفيدان، فالأول منهما يمثِّل اتِّجاه أهل الحديث في شرح الأحاديث متحرِّراً عن التقليد لمذهب فقهي معيَّن، والآخر يمثِّل مذهبَ المقلِّدين، فلا يُغني كتابٌ عن كتاب.
- أنه شرحٌ وسطٌ يَحِلُّ مشكلات الكتاب سنداً ومتناً بكلامٍ مُوجَزٍ لكنه جامعٌ ورصينٌ، بحيث لا يضجر القارئَ، وهذا أحد الأسباب التي يدفع طُلاَّبَ العلم لترجيحه على غيره عند اقتنائهم شروحَ السُّنَن.

طُبع الكتاب للمرَّة الأولى في الهند في أربعة مجلدات ضِخام، وكان طبعُ الأول منه عام ١٣١٨هـ، وانتهى من طبع المجلد الرابع والأخير عام ١٣٢٣هـ. ثم صدرت له طبعات عديدة محقَّقة وغير محقَّقة، ومن أحسنها الطبعة التي صدرت عن مكتبة المعارف بالرياض، عام ١٤٣٠هـ في سبع مجلدات، بتحقيق الشيخ أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان.

٣ –التعليق المغني على سنن الدارقطني:

"سنن الدارقطني" من كتب الحديث الجليلة، ألَّفه الإمامُ أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني (ت٣٨٥هـ) ليتعقَّب على الأحاديث التي ذُكرت في "السُّنَن"، وفيها مآخذ ومغامز، وقد عَمِل بها بعضُ الفقهاء، أو خَفِيَتْ عِلَلُها على بعض المحدِّثين، فكَشَف الدارقطني ما فيها من تلك العِلَل بمهارته الفائقة في هذا الفنِّ الدقيق العويص[١].

وهذا الكتابُ مع ما له من قيمةٍ وجلالةٍ بين كتب الحديث، لم يكن مطبوعاً بين أهل العلم حتى أوائل القرن الرابع عشر الهجري، فقيَّض اللهُ الشيخَ أبا الطيب لخدمة هذا الكتاب ونشره حيثُ حصل على ثلاثة نسخٍ له بعد جهد جهيد، فاستطاع أن يُعِدَّ نسخةً صحيحةً منقطعةَ النظير بعد مقابلة كلٍّ منها مع الآخر، ثم علَّق عليها تعليقاتٍ مفيدةً، واكتفى فيها على تنقيد بعض أحاديثه، وبيانِ عِلَلِه، وكشفِ بعض مطالبه على سبيل الإيجاز والاختصار، وأجاد في كثير منها كلَّ الإجادة، بحيث أصبحت تلك التعليقاتُ بمثابة شرحٍ مختصرٍ لـ"سنن الدارقطني".

طُبع هذا الكتاب لأوَّل مرَّةٍ في المطبع الأنصاري بدهلي عام ١٣١٠هـ في (٥٥٤) صفحة على القطع الكبير في مجلَّدٍ يشتمل على جزئين. ثم صدرت له طبعة ثانية بعناية الشيخ عبد الله هاشم عن دار المحاسن للطباعة بالقاهرة عام ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م) في أربع مجلَّدات.

[١] انظر: أبو غدة، عبد الفتاح الحلبي، **السنة النبوية وبيان مدلولها الشرعي والتعريف بحال سنن الدارقطني**، ص: ٢٣.

٤ – إعلام أهل العصر بأحكام ركعتَي الفجر:

وهو كتابٌ قيِّمٌ فريدٌ في موضوعه، بيَّن فيه المؤلِّفُ آدابَ سُنَّةِ الفجر في ضوء الأحاديث النبوية، وهو يحتوي على عشرة فصول.

ومنهجُه في الكتاب أنه يُورِد أولاً في كل فصلٍ من تلك الفصول الأحاديثَ النبوية والآثارَ المتعلِّقة بذلك الفصل، ثم يَذكُر في شرحها أقوالَ العلماء المحقِّقين من شُرَّاح الحديث والأئمة المجتهدين، ثم يَنظُر فيها ويأخذ ما هو الأقوى والأنسب بالدليل، وكذلك يُورِد الأحاديث التي استدلَّ بها المخالفون، ويَنقُدها نقداً متيناً على طريقة المحدِّثين، فيبيِّن صحتها أو ضعفها، ويَدرُس أسانيدها دراسةً فاحصةً، فإنْ كان فيها أحدٌ من الْمُتَّهمين أو الكذَّابين أو الضعفاء؛ يسمِّيه، وينقل آراءَ أئمة الجرح والتعديل من بطون الكتب المعتمَد عليها في هذا الفنِّ. ويَنقُل – أيضاً – مذاهبَ السَّلف والمجتهدين في المسائل المختلَف فيها بذكر أدلة كل واحد منهم، ويتكلَّم عليها حسب ما يليق بالمقام، ويرجِّح ما يَعضُده الدليل. كما كَتَب المؤلِّفُ في هوامش الكتاب تعليقاتٍ وجيزةً أيضاً، وضَّح فيها معاني بعض الأحاديث، ونبَّه على أخطاء وقعتْ في الأسانيد أو في ألفاظ الحديث من النُّسّاخ.

طُبع هذا الكتاب لأول مرة على الحجر في المطبع الأنصاري بدهلي سنة ١٣٠٦هـ في (٦٧) صفحة على القطع الكبير. ثم نشرته إدارة العلوم الأثرية بلائِلْفُور بباكستان في (٢٨٦) صفحة على القطع الكبير المتوسط، وهي طبعة محقَّقة.

٥ – التحقيقات العُلى بإثبات فرضية الجمعة في القُرى:

وهي رسالة لطيفة كتبها بالأردوية، وهي تحتوي على ثلاثة أجوبة من المؤلِّف على أسئلة تالية:

الأول: هل تَثبُت فرضية صلاة الجمعة في القرى أم لا؟.

والثاني: الشروط والقيود التي ورد ذكرُها في كتب الأحناف لأداء صلاة الجمعة في مكانٍ واحدٍ، هل هي مأخوذة من الأحاديث الصحيحة أم لا؟

والثالث: بعض الناس يُصلّون الظهر بعد أداء صلاة الجمعة، هل يجوز ذلك أم لا؟

فقد أجاب الشيخ عن هذه الأسئلة إجابةً شافيةً كافيةً في ضوء ما ورد في الأحاديث والآثار الصحيحة.

طُبعت هذه الرسالة في المطبع الأحمدي بِبَتْنَه في الهند عام ١٣٠٩هـ.

٦ –المكتوب اللَّطيف إلى المحدِّث الشريف:

وهي رسالة قيمة تحتوي على غُرَر المعلومات في أنواع الإجازة، تكلَّم فيها المؤلِّفُ عن أنواع الإجازة لا سيما عن الإجازة العامة، وذكر اختلافَ المحدِّثين في صِحّتها، ثم أتى بأدلة القائلين بصحتها وجوازها، وسرد أسماءَ العلماء والمحدِّثين الذين لم يروا بأساً في الإجازة العامة، ثم ترجم لبعضهم باختصار، وذكر في آخر الرسالة أسئلته التي وجَّهها إلى شيخه المحدِّث نذير حسين الدهلوي حول مسائل الإجازة العامة.

طُبعت هذه الرسالة في المطبع الأنصاري بدهلي عام ١٣١٤هـ في (١٦) صفحة على القطع الكبير.

٧ –غنية الألمعي:

وهي رسالة صغيرة تحتوي على خمسة عشر صفحة، تناول فيها المؤلفُ بعضَ المسائل التي تتعلَّق بالحديث وعلومه، مثل:

- الفرق بين قولهم: "هذا الحديث لا يَصِحُّ "، وقولهم: "لا يَثْبُت".
- ومدى أَصَحِّيّة الحديث في وضع اليد على الصدر في الصلاة.
- والتحقيق في ثبوت الأضحية عن الأموات.

وغير ذلك من مسائل حديثية دقيقة تحدَّث عنها المؤلِّف في هذه الرسالة اللطيفة، طُبعت هذه الرسالة في المطبع الأنصاري بدهلي عام ١٣١١هـ مع "المعجم الصغير" للطبراني (ت٣٦٠هـ)، ثم طُبعت في المكتبة السلفية بالمدينة المنوَّرة عام ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م) بعناية الشيخ عبد الرحمن محمد عثمان، وهي كذلك ملحقةٌ بآخر "المعجم الصغير".

٨ – رفع الالتباس عن بعض الناس:

وهي رسالة نفيسة، كتبها الشيخُ أبو الطيِّب ردّاً على رسالة الشيخ أحمد علي السَّهارَنْفُوري (ت١٣٩٧هـ) المسمَّاة: "بعض الناس في دفع الوسواس"، والذي ردَّ فيها على انتقادات وتعريضات الإمام البخاري في بعض المسائل على الإمام أبي حنيفة بلفظ: "وقال بعض الناس".

طُبعت بتحقيق الدكتور محمد عزير شمس في دار الترجمة والتأليف والنشر بالجامعة السلفية ببنارس عام ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م).

٩ –عقود الجمان في جواز تعليم الكتابة للنِّسوان:

وهي رسالة فريدة في موضوعها، كتبها الشيخ بالفارسية إجابةً عن سؤال وَرَد إليه حول جواز تعليم الكتابة للنِّسوان، فأجاب الشيخُ مُستدِلاًّ بالأحاديث الصِّحاح الواردة في جواز تعليم الكتابة للنساء، ثم استنبط منها أنها جائزة لأمر دينها، وما يُصلح شؤونَها في تدبير منْزلها وتربية أولادها، وقال: "بل تعلُّمُ النساءِ الكتابةَ واجبٌ في بعض الأحيان، لا يُنازِع فيه إلا مَن لم يعرف حقائقَ الأمور"[١].

طُبعت هذه الرسالة بعد التعريب بعناية الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع (ت١٩٦٥م) في المكتب الإسلامي بدمشق عام ١٣٨١هـ (١٩٦١م) في (٢٢) صفحة. ثم طُبعت بتحقيق وتعليق الدكتور وصي الله بن محمد عباس في مؤسسة المجمع العلمي بباكستان عام ١٤٠٨هـ.

١٠ –الوجازة في الإجازة:

جمع المؤلفُ في هذا الكتاب جميعَ إجازاتِه لكتب الحديث التي قرأها على شيوخه أو سمعها منهم، وسمَّى في أول الكتاب جميعَ شيوخه في رواية الحديث، وكان يُرسِله إلى كلِّ مَن يطلب منه إجازةَ الرواية بواسطته، سواء كان الطالبُ في الهند أو خارجها، طُبع هذا الكتاب بتحقيق الأستاذ بدر الزمان محمد شفيع النَّيبالي في المجمع العلمي بكراتشي وحديث أكاديمي بفيصل آباد (في باكستان) عام ١٤٠٨هـ.

[١] العظيم آبادي، أبو الطيب شمس الحق، مقدمة "**عقود الجمان في جواز تعليم الكتاب للنسوان**"، ص: ٩.

١١ -النجم الوهَّاج في شرح مقدِّمة الصحيح لمسلم بن الحجَّاج:

لقد كتب الإمام مسلم مقدِّمةً ضافيةً لجامعه الصحيح، وذكر فيها سببَ تصنيفه، وتعرَّض لذِكر الكثير من القواعد والفوائد والأصول المتعلقة بالرواية التي لها أهمية كبيرة جداً، لكنها في نفس الوقت فإنَّ عبارة هذه المقدِّمة غامضةٌ صعبة الفهم، ونظراً إلى ذلك اعتنى أهل العلم بشرح هذه المقدمةِ على مرِّ العصور، فقام بشرحها كثيرٌ من العلماء، وكان لعلماء الهند في خدمة هذه المقدمة نصيبٌ وافرٌ، وممن قام بشرحها الشيخ أبو الطيب الذي شرحها شرحاً واسعاً يَستغرِق جميع الأبحاث، ويوضِّح ما أراده الإمام بقوله، مع بيان أحوال الرواة وشرحِ الألفاظ الغريبة والمشكلة، وقد أشاد به زميلُه الشيخُ عبد السَّلام المباركفوري في كتابه "سيرة البخاري"[١].

ولكنه لم يُطبع إلى الآن، وتُوجَد منه نسخةٌ ناقصةٌ في مكتبة "خُدا بَخَشْ " ببَتْنَه، والتي تحتوي على (٤٧) صحفة على القطع الكبير، وفي كل صفحة (٣٠) أسطر[٢].

١٢ -هدية اللَّوذعي بنُكَات التِّرمذي:

جمع المؤلِّفُ في هذا الكتاب فوائدَ كثيرةً تكشف بعضَ المغلَقات الموجودة في "جامع الترمذي"، و ذكر في مقدمته أنه جعل هذا الكتابَ في سبعة فصول كالتالي:

الفصل الأول : خصَّه بترجمة الإمام الترمذي.

والفصل الثاني : تكلَّم فيه عن خصائص ومزايا جامع الترمذي من بين كتب الحديث.

والفصل الثالث : ذكر فيه فوائدَ عديدة تتعلق بجامع الترمذي

والفصل الرابع : ترجم فيه بشيوخ الإمام الترمذي على الترتيب الألفبائي.

والفصل الخامس : عرَّف فيه بمَن اعتنى "جامع الترمذي" شرحاً وتعليقاً.

والفصل السادس : ترجم فيه لشيوخه (أي شيوخ المؤلِّف العظيم آبادي) الذين أخذ عنهم هذا الكتابَ.

والفصل السابع : ذكر فيه إسناده في "جامع الترمذي"، والذي يصل إلى الإمام الترمذي.

ولكنه لم يُكمِل بعد الفصل الثالث، فبقي الكتابُ ناقصاً، وتُوجَد له نسخةٌ خطيةٌ ناقصةٌ في مكتبة "خُدا بَخَشْ" ببَتْنَه[٣]، وهي جديرةٌ بالنشر بعد تحقيقها والتعليق عليها.

١٣ – تحفة المتهجِّدين الأبرار في أخبار صلاة الوتر وقيام رمضان عن النبي المختار:

جمع المؤلِّفُ في هذا الكتاب الأحاديث والآثار التي تتعلَّق بالوتر وقيام رمضان، وهو مفقود[٤].

١٤ – فضل الباري شرح ثلاثيات البخاري:

يُراد بـ"الثلاثيات" تلك الأحاديث التي لا يكون في إسنادها غيرُ ثلاث وسائط بين صاحب الكتاب وبين النبي)، وهي تُعتبَر من الإسناد العالي[١].

---

[١] انظر: المباركفوري، عبد السلام **"سيرة الإمام البخاري"**، ص: ٣٩٥.

[٢] حياة المحدث شمس الحق وأعماله، ص:٢٢٧، ٢٢٨.

[٣] المحدث شمس الحق العظيم آبادي وأعماله، ص: ٢٤٨.

[٤] المرجع السابق: ص: ١٠٥.

وقد وردت في "صحيح البخاري" اثنان وعشرون حديثاً من الثلاثيات، روى الإمام البخاري سبعةَ عشر حديثاً منها عن سَلَمَة بن الأَكْوَع ، وأربعةَ أحاديث عن أنس بن مالك، وحديثاً واحداً عن عبد الله بن بُسْرٍ.

وقد شرح هذه الثلاثياتِ مُفرَدةً كثيرٌ من العلماء، ومنهم الشيخ العظيم آبادي، الذي شرحها شرحاً واسعاً مستوعباً أبحاث الأسانيد والمتون، واعتنى بتخريج الأحاديث، وذكر المسائل المستنبطة منها، وعرَّف برجال الأسانيد، لكنه لم يستمر في شرح جميع الأحاديث فبقي الكتاب ناقصاً، وما أتمَّه منه فهو في عِداد كتبه المفقودة[٢].

١٥ –النور اللأمع في أخبار صلاة الجمعة عن النبيِّ الشافع:

هو عبارةٌ عن مجموعة من الأحاديث المروية عن النبي) في باب صلاة الجمعة، تناولها المؤلِّفُ بنقدها وبيان درجاتِها من الصِّحّة والضَّعف، لكنه لم يُتِمَّها، وما أتمَّه منها فهو مفقود[٣].

١٦ –نهاية الرسوخ في معجم الشيوخ:

وهو ثَبَتٌ لشيوخ الشيخ أبي الطيب، ذكر فيه تراجمَهم وتراجمَ مَن جاؤوا في سلسلة أسانيده، لكنه مفقودٌ[٤].

١٧ –سيرة المحدِّث الشيخ عبد الله جهاؤ الإله آبادي (بالأردوية):

ذكر المؤلفُ في هذا الكتاب بعضَ أحوال المحدِّث الشيخ عبد الله جَهَاؤ الإله آبادي (ت١٣٠٠هـ) أحد كبار المحدِّثين في الهند في القرن الثالث عشره الهجري الهجري، لكنه مفقود[٥].

تعليقاته على كتب الحديث ورجاله:

بعد تعريف موجز بمؤلَّفاته في الحديث؛ أرى من المستحسن أن أذكر هنا أيضاً ما تركه الشيخ أبو الطيب من تعليقات مفيدة له على بعض كتب الحديث ورجاله، مثل:

١ – تعليقاته على "جامع التِّرمذي":

علَّق الشيخ العظيم آبادي على "جامع الترمذي" تعليقات قيمة، وأراد بها أن يشرح بعضَ الألفاظ الغريبة، ويبيِّن المواضعَ الْمُغلَقة منه، بحيث يَنقُل العبارات من الكتب المؤلَّفة في هذا الفنِّ، ويُثبِتها بعينها في المواضع التي تحتاج إلى إيضاح، ويجعل في آخر العبارة المنقولة رمزاً من الكتب المأخوذة.

تُوجَد هذه التعليقات مخطوطةً في "مجموعة تسويدات" في مكبتة خُدا بَخَشْ" بِبَتْنَه، برقم (٣٨٣٤)[٦].

---

[١] الغوري، سيد عبد الماجد، **معجم المصطلحات الحديثية**، ص: ٢٧٢.

[٢] المباركفوري، عبد السلام، سيرة الإمام البخاري، ص: ٢٤٧.

[٣] انظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، (١٢٤٤/٨)، وبادكار كوهري، ص: ١١٠.

[٤] حياة المحدث شمس الحق وأعماله، ص: ٢٣٦، ٢٣٧.

[٥] ذكره الشيخ أبو ضياء محمد قمر الدين الإله آبادي، في مقال له المنشور في جريدة "أهل الحديث"، عدد ٣١، أكتوبر، عام ١٩١٨م، وانظر "حياة المحدِّث شمس الحق وأعماله"، ص: ١٤٥، ١٤٦.

[٦] حياة المحدث شمس الحق وأعماله، ص: ٢٥٢، ٢٥٣.

٢ – تعليقاته على "سنن النَّسائي":

ذكرها الشيخ عبد السَّلام المباركفوري في كتابه "سيرة البخاري"[١] حيث قال: "إنَّ فيه بعض المواضع المغلَقة، ولذا شرحه كثيرٌ من العلماء، والعلامة الشيخ أبو الطيِّب العظيم [آبادي] أيضاً، شرح تلك المواضع"، وقال: "تُوجَد منها نسخة [في مكتبته]"، لكن لم يُعثَر عليها إلى الآن، ومكتبته التي أشارت إليها المباركفوري وهي قد ضُمَّت بعد وفاته إلى "مكتبة خُدا بَخَشْ" ببتنه.

٣ – تعليقاته على "التاريخ الصغير" و"كتاب الضعفاء الكبير" للإمام البخاري، "وكتاب الضعفاء المتروكين" للنَّسائي:

وهي مجموعة تحتوي على الكتب الثلاثة المذكورة، وعلَّق الشيخُ أبو الطيب على كل منها تعليقات مفيدة، وطُبعت أولاً بدهلي، ثم بلاهور، ولم أعثر على اسم الناشر وتاريخ الطبعة[٢].

٤ – تعليقاته على "إسعاف المبطأ" للسيوطي:

"إسعاف المبطأ" للحافظ جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) كتابٌ قيِّمٌ في موضوعه، جمع فيه تراجمَ الرواة المذكورين في "موطأ الإمام مالك"، وقد علَّق عليه الشيخ أبو الطيب بما يوضِّح كثيراً من أسماء الرواة وكُنَاهم، وألقابهم، وأخذ على مواضع أخطأ فيها السيوطيُّ، وبيَّن ما هو الصواب من كتب أسماء الرجال، ولم يقتصر فقط على التعليق على الكتاب بل قام بتصحيح الأصل بمقابلته مع عدة نسخ مخطوطة له، وجعل تعليقاته على هامشه، وطُبعت تعليقاته مع الأصل في المطبع الأنصاري بدهلي عام ١٣٢٠هـ في خمسين صفحة على القطع الكبير.

خاتمة

ومن ترجمة هذه الشخصية الفذّة، نلاحظ أنه ٥ خير من ترجم ما ينبغي أن يكون عليه طالبُ العلم – وبخاصةٍ طالب علم الحديث النبوي– وكذلك المحدِّث من صفات رفيعة، وآداب جليلة سواء بأقواله وأفعاله، أو بسلوكه وأخلاقه، مما كان له الأثرُ الأعظم في قبوله بين الخلق ومحبتهم له. ومما أستحسنه في هذا الموضع إلقاء الضوء على بعض تلك الآداب التي اتَّصف بها، والأخلاق التي تحلَّى بها:

الرحلة في طلب الحديث: التي ظلَّت سُنَّةَ المحدِّثين عبر القرون، فما مِن عالم برز في الحديث إلا وله رحلة فيه، حتى قال العلماء: "مَن لم يكن رُحْلَةً لن يكون رُحَلَةً"[٣]. والشيخ أبو الطيب لم يكتف بتلقي العلم عن علماء وشيوخ بلده، بل رحل في سبيله إلى مدن نائية، وقرأ الحديثَ على كبار علمائه، وثافنهم حتى برع فيه.

التصدُّر للتحديث بعد التأهُّل: فلأنَّ العلماء قد حَذَّروا تحذيراً شديداً عن التصدُّر قبل التأهُّل، وعدّوه آفةً في العلم والعمل، وقالوا: "من تصدَّر قبل أوانه؛ فقد تصدَّى لهوانه"[٤]. فترى الشيخَ أبا الطيِّب لم يتصدَّر للتحديث إلا

---

[١] سيرة الإمام البخاري، ص: ٤٣٧.

[٢] حياة المحدث شمس الحق وأعماله، ص: ٢٥٤، ٢٥٥.

[٣] أبو زيد، بكر بن عبد الله، **المجموعة العلمية**، ص:١٧٤.

[٤] المرجع السابق: ص: ١٩٨.

بعد أن نضج فيه ونبغ، وحصل على إجازات عالية فيه من علماء الحديث في بلده الهند ثم في الحجاز، فنفع الله به حتى ذاع صيته في كل أنحاء الهند، وتهافت عليه الطلاب من كل حدب وصوب.

زكاة العلم: التي يجب أداءها على كل طالب صادعاً بالحق، أمَّاراً بالمعروف، نهّاءاً عن المنكَر، مُوازِناً بين المصالح والمضارِّ، ناشراً للعلم، وحُبِّ النفع، وبذلِ الجاه، والشفاعة الحسنة للمسلمين في نوائب الحقِّ والمعروف[1]. فالشيخ – كما سبق – لم يكن إلى جانب اشتغاله بالتدريس والتأليف مقصِّراً عن أداء واجبه نحو الدعوة والإرشاد، بل كان فعالاً ونشيطاً في هذا المجال، فدعا الناسَ إلى التوحيد، واتِّباع السنة، وإطاعةِ الرسول)، وسعى إلى إماتة كثيرٍ من البِدَع والخرافات، والأعمال الشِّركية.

الاشتغال بالتصنيف والانتاج العلمي: الذي يجب على من توفَّرت فيه الأهليةُ لذلك، فإنه يفتح له من مغاليق العلم، ويوسع أمامه من مجاله ما لم يكن بحسبانه، كما أنَّ كل عصر له شأنٌ خاصٌّ يحتاج إلى تجديدٍ في الأسلوب وفي الموضوعات والأفكار، بحسب ما يتطلبه حال الناس من الناحية الفكرية والأخلاقية والعلمية[2]، وقد حجَّر واسعاً مَن قال: "ما ترك الأول للآخر"، ومَن تأمَّل ومارس قال: "كم ترك الأول للآخر". فالشيخ أبو الطيب أقبل على التصنيف والتأليف فور تحصيله العلم، وأنتج في هذا المجال ما أنتج.

بذلُ الفائدة لزملائه: سواء أكان ذلك ببذل النصح والإرشاد والتوجيه لمن هم بحاجة إلى ذلك، أو بإعارة الكتب لحِبّانه وخِلاّنه ليستفيدوا منها، وهذه أوْلَى فوائد طلبِ العلم، وعلى وجه الخصوص طلب علم النبوة وميراثها. ومَن كَتَم عن إخوانه شيئاً من الفوائد لينفرد بها عنهم؛ كان جديراً بأن لا يُنتفَع به كما ذكر العلماء، وقال الإمام مالك: "مِن بركة الحديث إفادة بعضهم بعضاً" وقال الإمام النووي 5: "وبإنفاق العلم ونشره يَنمَى"[3]. وسبق في ترجمة الشيخ أنه كان يشير على زملائه وطلابه إلى التأليف في موضوعات تمسها حاجة العصر، ويشجِّعهم على ذلك، ويفتح لهم مكتبته، ويُعير لهم كتبه النادرة.

وغيرُ ذلك من الآداب التي تحلَّى بها الشيخ5 في حياته الشخصية والعلمية، فالحديثُ عن مثل هذا العالم الجليل، والعَلم الشامخ في علم الحديث، وعن آثاره التي خلفها في السنة النبوية؛ لن يفي به مثلُ هذا البحث المتواضع، فهي تتطلب دراسةً شاملةً عنها. فالمرجوُّ من طلاب الحديث النبوي في أقسام الدراسات العليا في الجامعات الإسلامية الموقرة أن يختاروا لموضوع رسائلهم شخصيةَ الشيخ أبي الطيِّب شمس الحق العظيم آبادي كمحدِّثٍ صاحب مؤلفاتٍ قيمةٍ في السنة، ويدرسوا منهجه في كلٍّ منها لا سيما "عون المعبود" ذلك الشرح الذي يندر نظيره بين شروح "سنن أبي داود".

وصلَّى الله وسلَّم، وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

[1] المرجع السابق: ص:١٩١.

[2] عتر، نور الدين، **منهج النقد في علوم الحديث**، : ١٩٦.

[3] انظر: "النووي، أبي زكريا يحيى بن شرف، **إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق**)، ص: ١٧٢، وعتر، نور الدين، منهج النقد في علوم الحديث، ص: ١٩٢.

مراجع البحث

١. أبو زيد، بكر بن عبد الله، **المجموعة العلمية**، الرياض: دار العاصمة، ط١، ١٤١٦هـ.

٢. أبو غدة، عبد الفتاح الحلبي، **السنة النبوية وبيان مدلولها الشرعي والتعريف بحال سنن الدارقطني**، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط١، ١٤١٢هـ.

٣. الباقي، محمد فؤاد، "**مفتاح كنوز السنة**"، لاهور: إدارة ترجمان السنة، ط١، ١٩٣٤م.

٤. الحسني، عبد الحي بن فخر الدين، **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام**، بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٠هـ.

٥. الخولي، عبد العزيز، **مفتاح السنة**، القاهرة: مكتبة الاستقامة، ط١، ١٣٩٥هـ.

٦. الزهراني، علي بن بخيت، **الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة**، مكة المكرمة: دار طيبة، ط٢، ١٤١٨هـ.

٧. السهارنفوري، خليل أحمد، **بذل المجهود في حل سنن أبي داود**، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٢٧هـ.

٨. عتر، نور الدين، **منهج النقد في علوم الحديث**، دمشق: دار الفكر، ط٣، ١٤٢٤هـ.

٩. العظيم آبادي، أبو الطيب شمس الحق، **عون المعبود في شرح سنن أبي داود**، القاهرة: دار الحديث، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٠. العظيم آبادي، **رفع الالتباس عن بعض الناس**، الهند: بنارس، المطبعة السلفية، ط١، ١٩٧٥م.

١١. العظيم آبادي، **عقود الجمان في جواز تعليم الكتاب للنسوان**، بيروت: المكتب الإسلامي، ط١، ١٩٦٥م.

١٢. الغوري، سيد أحمد زكريا الندوي، **مقدمات العلامة أبي الحسن الندوي**، دمشق: دار ابن كثير، ط١، ١٤٣١هـ.

١٣. الغوري، سيد عبد الماجد، **أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية المربي الأديب**، دمشق: دار كثير، ط٣،

١٤. الغوري، سيد عبد الماجد، **معجم المصطلحات الحديثية**، دمشق: دار كثير، ط١، ١٤٢٨هـ.

١٥. محمد عزير شمس، **حياة المحدث شمس الحق وأعماله**، بنارس: إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية، ط٢.

١٦. الفريوائي، عبد الرحمن بن عبد الجبار، **جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة**، بنارس: إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية، ط٢، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١٧. الكاندهلوي، محمد زكريا، **لامع الدراري على جامع البخاري**، سهارنفور: مكتبة يادكار شيخ.

١٨. كحالة، عمر رضا، **معجم المؤلفين**، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٤هـ.

١٩. المباركفوري، عبد السلام، **سيرة الإمام البخاري**، بنارس (الهند): إدارة البحوث الإسلامية والدعوة والإرشاد، الجامعة السلفية، ط٢، ١٤٠٧هـ.

٢٠. المباركفوري، عبد الرحمن، **تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ.

٢١. مسلم، أبي الحسن، مسلم بن الحجاج القشيري، **الصحيح**، الرياض: دارالسلام، ط١، ١٤١٩هـ.

٢٢. الندوي، أبو الحسن علي الحسني، **المسلمون في الهند**، بيروت: دار ابن كثير، ط١، ١٤٢٠هـ.

٢٣. النووي، أبو زكريا يحي بن شرف، **إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق)**، تحقيق: الدكتور نور الدين عتر، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط٢، ١٤١١هـ.

باللغة الأردوية:

١ – ديانوي، محمد زبير عتيق، **ياد كار كوهري**، بتنه: ، ط١، ١٣١٢هـ.

٢ – النوشهري، أبو يحيى إمام خان، **هندوستان مين أهل حديث كي علمي خدمات**، دهلي: برقي بريس، ط١، ١٩٣٧م.

٣ – النعماني، شبلي، **مقالات شبلي**، أعظم كره (الهند): دار المصنفين، ط١، ١٣٩٩هـ.

٤ – جريدة "أهل الحديث"، أمرتسر (الهند).